الإخصاب خارج الرحم

In Vitro Fertilization (IVF)

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ (الأحقاف ١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ (لقمان ١٤)

قالوا:

« ... منذ ما يقل عن أربعين عامًا حكمت محكمة فى الينوى بأن التلقيح الصناعى بمنىً غريب ـ سواء بموافقة الزوج أو بدونها ـ يعتبر زنا من ناحية الأم، وكل طفل يولد بهذه الطريقة طفل غير شرعى. أما اليوم فإن مثل هذا التلقيح يتم روتينيًا، وقد ولد عن هذه الطريقة ما يزيد عن (ربع مليون أمريكى) .. لقد تعودنا على الإخصاب فى «الأنبوب» تعودنا على بنك الحيوانات المنوية .. هناك على الناصية القريبة تُفسح النماذج الاجتماعية والمؤسسات المكان فى بطء لأم الغرباء، لزواج الشواذ، ولا تزال الأمهات البديلات أمراً خلافيًا .. لكننى أتوقع أن تجد لها دوراً بين الأدوار المتزايدة بالحياة العائلية». [من كتاب عصر الجينات والإلكترونات]

تأليف: والتر إندرسون

ترجمة د. أحمد مستجير

« لو أننا طلبنا من رجل أن يربى فى بطنه مخلوقًا غريبًا لمدة تسعة أشهر، لتسبب هذا له فى احتقان شرايين رجله وغازات فى أمعائه، وغثيان نفس، ومقاياة من المعدة، وفقدان ذاكرته، وتنتهى بمدة ٣٦ ساعة من آلام شنيعة وعملية جراحية، فهل سيقبل بذلك؟ حتى رامبو سيرفض العرض».

الروائية كاثي لت عن الحمل والولادة

تعليق: [لكن لي ميدجوي وافق.. !!]

أولاً: تمهيد:

سبق لنا عزيزى القارئ أن ألقينا الضوء على الكثير من جوانب هذه المرحلة (الطور) الهامة من مراحل البيوتكنولوچيا فى كتابنا (جولات فى عالم البيوتكنولوچيا) .. وسنلقى فى هذه الجولة ـ أيضًا ـ المزيد والغريب والطريف عنها خاصة فيما يتعلق ببداياتها والفكرة التى بُنيت على أساسها وبعض إيجابياتها وسلبياتها وردود أفعال الباحثين عليها مع عرض بعض التطبيقات الهامة.

ثانيًا: البدايات:

حيث يرجع الفضل الأول فى ظهور هذا الطور للمحاولات الناجحة من قبل مربى الماشية للاستفادة من تقنية استخراج الحيوانات المنوية المرغوب فى صفاتها وتجميدها فى بنوك خاصة (بنوك الأمشاج) لوقت مناسب، ثم إعادة إخراجها من البنوك لإتمام تلقيح إناث الحيوانات بها، وذلك للحصول على أجيال من الماشية ذات صفات تجارية مرغوبة تحقق المكاسب المادية، ثم انتقلت الرغبة للاستفادة بما سبق مع البشر .. فكان فى عام ١٩٥٣م أن استخدم حيوان منوى مجمد فى التخصيب الصناعى للإنسان .. وشجع ما سبق الباحثين على بذل المزيد من الجهود لتحسين التقنية واستحداث طرق وأدوات أفضل واتباع تكنولوچيا أكثر تطوراً .. اكتملت بشكل رائع، وأمكن فى ظل الاستفادة منها وتطبيقاتها فى عام ١٩٧٨م أن يتحقق حلم داعب الكثيرين وتمت ولادة أول طفلة أنابيب فى العالم وهى الطفلة «لويزا براون» .. وبعدها بعامين تم إنشاء بنك الأمشاج Sperms Bank للاحتفاظ بمنويات الرجال وبويضات النساء، والذى سمح بظهور أطفال الأنابيب على مجال أوسع.

ثالثًا: الفكرة التى يقوم على أساسها الإخصاب خارج الرحم:

يعتمد هذا الأسلوب على استبعاد العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة كوسيلة وحيدة للإنجاب .. والفصل بين العلاقة الجنسية من ناحية وبين الإنجاب من ناحية أخرى، وينقسم الإخصاب خارج الرحم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى: وتتم فى المعمل .. وفيها تتم عمليتا التلقيح والإخصاب خارج الرحم In vitro عن طريق

سحب عدة بويضات من الزوجة ـ[وليس بويضةواحدة افتراضًا من الطبيب لاحتمال فشل بويضة أو أكثر فى تلقيحها وإخصابها] ، ونطفة مذكرة (حيوانات منوية) من الزوج، وإجراء التلقيح والإخصاب بينهما معمليًا ـ[أى تمكين الحيوان المنوى من اختراق جدار البويضة والالتحام أو اندماج نواتيهما]ـ ويتم ذلك فى أنبوب اختبار بالمعمل .. وبعد فترة زمنية معينة (١٥ يومًا) تكون فيه البويضة المخصبة (الزيجوت Zygote أو اللاقحة أو الجنين) قد انقسمت لعدد مناسب من الانقسامات يتم عندها الانتقال إلى المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: يتم فيها نقل وزرع الجنين ـ[أو أكثر من جنين]ـ فى رحم الزوجة لاستكمال الحمل والولادة.

وزراعة أكثر من جنين بسبب خوف الطبيب من فشل الحمل إذا كان فى جنين واحد، وهو احتمال قائم لذا يتم زراعة أكثر من واحد غالبًا حتى إذا ما فشل أحدهما فى الاستمرار يستمر الآخر ليولد حيًا فى ميعاده بإذن الله.

مدة الحمل: الحمل فى الظروف العادية (الناتج عن العلاقة الزوجية بين الزوجين) يكون مدته تسعة أشهر، وأقل مدة حمل شرعًا وقانونًا هى ستة أشهر، وأكثرها سنة كاملة، ويبدأ الحمل من تاريخ الإخصاب أى اندماج الحيوان المنوى بالبويضة فى قناة فالوب، وينتهى إما بإتمام الحمل والولادة للجنين حيًا، أو إسقاطه (إجهاض) قبل اكتمال مدة الحمل، أو بعد تمامها، لكن هذه المدة فى التلقيح الصناعى يتم فصلها وتجزئتها على مرحلتين .. (كما سبق وذكرنا)، وهذا الفاصل الزمنى قد يطول لشهور وربما لسنوات.

الاستفادة من بنوك الأمشاج والأجنة للفصل بين مرحلتى الحمل فى هذه التقنية: مع التقدم الحادث فى هذه التقنية وأدواتها أمكن للباحثين إنشاء بنوك خاصة للاحتفاظ بالنطف المذكرة وللبويضات [الأمشاج] وبنوك للاحتفاظ بالأجنة .. وذلك فى حالة مجمدة .. وتحت ظروف تضمن سلامتها لعدة سنوات .. وبذلك يمكن للطبيب (بفضل الله) بعد إنجازه للمرحلة الأولى؛ وبحسب الرغبة وضع الأجنة المجمدة لفترة قد تطول أو تقصر ثم استدعاء الأجنة المجمدة من هذه البنوك بعد هذا الفاصل الزمنى لإنجاز

المرحلة الثانية ونقل وزراعة الجنين لاستكمال الحمل والولادة .. وكم من الغرائب ظهرت فى ضوء الاحتفاظ بالأمشاج والأجنة ثم استدعائها ليحدث الحمل والإنجاب .. وسيكون لنا لقاء بعد قليل مع بعض الأمثلة من الحياة توضح لنا هذا المفارقات.

ها أنت ترى عزيزنا القارئ كيف تغيَّر الموقف على المستوى السياسى والاجتماعى بالنسبة لإنجاب الأطفال .. بعد ظهور هذه التقنية وذلك من طريقة الإنجاب الطبيعى والذى يحدث كنتيجة طبيعية للاتصال الجنسى بين الرجل والمرأة وهو المتبع منذ بداية الإنسان على الأرض .. وهذه العلاقة خاصة لا يتدخل فيها طرف ثالث ..

أما بعد ظهور هذه التقنية ونجاح استخدامها فى عام ١٩٧٨م انطلقت من عرينها وأصبح هناك ما يطلق عليه الإنجاب الصناعى حيث تكون هناك مشكلة عند الزوج أو الزوجة فى الإنجاب ـ[أو لا تكون أحيانًا]ـ ويتم الإنجاب بتدخُّل طرف ثالث أو عدة أطراف.

وهذا الطرف أو عدة أطراف قد يكون:

١ ـ فقط الطبيب المعالج الذى يقوم بالحصول على الحيوانات المنوية والبويضات لإتمام التلقيح والإخصاب.

٢ ـ أطراف أخرى .. ويترتب عليها غرائب وعجائب .. كأن يكون الزوج مصابًا بالعقم .. فتُستدعى حيوانات منوية من متبرع أو بنوك الأمشاج لتلقيح وإخصاب بويضة الزوجة ثم إتمام الحمل والولادة، فيكون للطفل اثنان من الآباء .. أو عدم تمكن مبيض الزوجة من إنتاج بويضات .. فيؤخذ بويضات من متبرعة أو غالبًا [شراء بويضات] لتلقيحها بمنى الزوج، وحمل الزوجة فى هذه البويضة المخصبة لاستكمال الحمل والولادة لطفل له اثنان من الأمهات.

٣ ـ أو عجز رحم الزوجةعن الحمل أو عدم وجوده أصلاً (عيب خلقى) فيتم البحث عن أم صاحبة رحم بديل .. ولقد تحدثنا فى كتابنا (جولات فى عالم البيوتكنولوچيا) بشىء من الاستفاضة عن قضية الأرحام المؤجرة والأمهات البديلات .. وسيكون لنا لقاء بعد قليل عن بعض المشاكل والمفارقات الاجتماعية

نتيجة توجيه الاستفادة من هذه التقنية إلى الإطار غير الشرعى.

رابعًا: إلقاء الضوء على بعض المظاهر الإيجابية لحسن الاستفادة من هذه التقنية والمظاهر الغريبة اللاأخلاقية (فى ضوء معاييرنا) لاستخدامها.

ومن الإيجابيات العديدة التى ترتبت على ذلك نذكر: المساعدة فى حدوث الحمل للكثير من الأزواج الذين كانوا يعانون من مشاكل فى الإنجاب ، وأيضًا فى أن يعرف الآباء جنس الوليد قبل الولادة، ويجعل أيضًا الإخصاب خارج الرحم، اختبارات ما قبل الولادة أسهل كثيراً وأعلى نوعية لمعرفة الكثير من الأمراض الوراثية التى يحملها الجنين مثل متلازمة داون.

بل ووصل الأمر إلى أن أصبح بالإمكان الحصول على عدة بويضات مخصبة خارج الرحم، ونقل واحدة منها لرحم الأم لاستكمال الحمل والولادة؛ بينما يتم الاحتفاظ بباقى البويضات المخصبة فى بنوك خاصة لتصبح أجنة مجمدة يُحتفظ بها لعدة سنوات لحين الحاجة إليها .. وأخذها لنقلها لرحم نفس الأم ليتم الحمل والإنجاب لهذا الجنين، ليصبح أخًا أو أختًا للطفل الأول بفارق زمنى رغم أنه تم الحصول على البويضات المخصبة فى وقت واحد.

جدير بالذكر أنه تم فى عام ١٩٨٤م ولادة (زونى) كأول طفلة كانت جنينًا محفوظًا فى بنك الأمشاج، وهى من ملبورن باستراليا، وبحالة صحية جيدة، وفى أغسطس من عام ١٩٨٤ وضعت سيدة استرالية ثانى طفل فى العالم من جنين مجمد.

وكما كانت هناك إيجابيات فلقد ظهرت أمور عديدة اتسمت بغرابتها وخرجت عن الإطار الشرعى المقبول ووصلت إلى حدود اللامعقول واللاأخلاقى بمعاييرنا .. ونذكر منها:

١ ـ تلك السيدة التى حملت من أخيها (فى فرنسا)!!

٢ ـ سيدة أخرى تحمل من زوجها بعد وفاته ..

٣ ـ السيدة الإيطالية (روزانا ديلاكورتى) التى ولدت وهى فى سن الـ ٦٢ سنة بعد أن أخصبت بويضة من واهبة بمنىٍّ زوج روزانا، ثم أعيدت إلى رحمها ... وفى

إيطاليا ولدت الطفلة «إليزابيتا» بعد أن حملتها عمتها من بويضة والدتها «الحقيقية» التى توفيت قبل عامين فى حادثة ..

٤ ـ وهناك السيدة الهندية التى حملت أيضًا وهى فى الستينات من عمرها.

٥ ـ أيضًا نشرت الوسائل الإعلامية فى ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٩م عن ذلك الأب البريطانى الذى توفى ابنه الشاب فى حادث سيارة، فقام الأب برفع قضية أمام القضاء من أجل استصدار حكم بالإفراج عن الحيوانات المنوية لابنه المتوفى لإنجاب حفيد من هذا الابن !! .. إن هذا الشاب البريطانى كان قد أوصى قبل وفاته باستخدام حيواناته المنوية فى حالة وفياته فى إنجاب طفل من صديقته .. غير أن الصديقة التى كانت تربطها علاقة غرامية دامت نحو عشرة أعوام رفضت تطبيق الوصية كما رفض المستشفى الموجود به الحيوانات المنوية الإفراج عنها إلا بعد صدور حكم قضائى حول مشروعية الإنجاب فى هذه الحالة، والدا الشاب المتوفى قاما بإبرام اتفاق مع سيدة أخرى لإنجاب حفيد لهما غير أنهما اصطدما برفض المستشفى علاوة على عدم جواز إجراء عملية التخصيب فى مثل هذه الحالة داخل بريطانيا طبقًا لنص القانون البريطانى .. وصرح متحدث باسم المستشفى بأن القضية متعددة الجوانب وتثير العديد من الأبعاد القانونية والأخلاقية والاجتماعية.

٦ ـ أمريكية تلد توأمًا لابنتها: بالطبع ليست أمريكا ببعيدة عما يحدث ففى عام ٢٠٠٢م طالعتنا الصحف عن حمل السيدة الأمريكية شارون دان (٤٨ عامًا) فى توأم، وكان سبب الحمل هو ذلك الوعد الذى قطعته لابنتها «تريش روبرتيس ٢٥ عامًا»؛ بأن تحمل لها أطفالها بعملية الإخصاب خارج الرحم بعد أن اكتشفت أن ابنتها وُلدت بلا رحم .. ووفت شارون بوعدها وحملت فى أحد مستشفيات الولايات المتحدة وسلمت ابنتها الطفلتين بعد ولادتهما !!

٧ ـ بالطبع لم تنته الأمثلة عن سوء استغلال هذه التقنية، فهناك قضية السيدات اللاتى يؤجرن أرحامهن للحمل Surrogate Motherhood وقضية الأرحام البديلة والتى تناولنا الحديث عنها بشىء من الاستفاضة من قبل.

هناك تنبؤ فى العديد من دول الغرب يوضح أنه سيصبح من الممكن قريبًا أن تحمل المرأة فى أى عمر.

ـ أيضًا كان لدكتور «جيفرى ز. فيشر» تعليق على تلك الأمور .. وفيما يلى نذكر بعضًا منها:

يقول د. «جيفر أ. فيشر»:

سيكون علينا أن نعيد تحديد ما نعنيه بالأمومة والأبوة والحمل، ستصبح بعض النسوة أمهات بيولوچيات دون أن يحملن، بل يستأجرن أمًا تلد لهن. ستختار أخريات أن يحملن متأخرًا، بعد أن يتوقفن عن العمل أو حتى بعد سن اليأس، إما أن يحملن بأجنتهن الجاهزة من سنين سابقة ـ كما سبق وذكرنا ـ أو بشراء بويضات من نساء أخريات. ستحمل بعض النسوة دون أن يقابلن الأب، سيصبح الرجال آباء بيولوچيين دون أن يقابلوا الأم. سيولد أطفال دون أن تحمل بهم امرأة ! وثمة عدد آخر من التباديل أيضًا يقينًا، سيجد الكثيرون منا أن هذه الأفكار بغيضة جدًا وغريبة جدًا عن الطريقة الأساسية المميزة لحياة البشر .. أىُّ حق للعلم والطب أن يتطفلا على أكثر عمليات حياتنا طبيعية، فيحيلانها لتصبح مصطنعة فظيعة؟ سنُواجه بمثل هذه القضايا الأخلاقية المرة بعد المرة فى مستقبل الرعاية الصحية، وليس فقط فى مجال التكاثر.

ونستنتج من رأى «د. چيفرى أ. فيشر» أن هناك همومًا صحية دعت البعض منهم إلى الدعوة لضرورة وجود ضوابط فى هذه البلاد، ذلك أنه يُخشى مثلاً من احتمال انتقال الإيدز مع منىّ الواهب، ويذكرون أيضًا أن هذه القضايا تولِّد ما شئت من صور الخلاف السياسى ـ ليس فقط حول القضايا الاجتماعية عما يباح وما لا يباح ـ وإنما أيضًا حول القضايا السياسية والاقتصادية عمن يتنفع بالخيارات التكنولوچية الجديدة، والقضايا الحكومية عمن له الحق فى اتخاذ القرار.

وإليك عزيزنا القارئ ـ ذلك المثال ـ الذى يؤكد ويعبر عن تذبذب ردود أفعال الغرب تجاه طريقة الاستفادة من تلك التقنية وغيرها من التقنيات..

مخاوف جديدة بعد الإعلان عن ولادة أطفال معدلة وراثيًا:

فى ٦ مايو من عـام ٢٠٠١م نشرت وسائل الإعلام عن ولادة «٣٠ طفـلاً» معدلاً وراثيًا فى الولايات المتحدة من سيدات غـير قادرات على الحمل، تم علاجهن بدواء جديد للخـصوبة. وقـال الباحثـون الأمريكيـون أنهم قاموا بتـعديل البـويضات بمادة مأخـوذة من بويضات سيـدات متبـرعات، وتعرض هذا الإجـراء للنقد ووُصف بأنه غير أخلاقى ومُحرم قانونًا فى مـعظم الدول، وقالت الإذاعة البريطانية فى تعليق لها: إن هذا الأسلوب يثير مخاوف جديدة حـول الطفل المولود بتصميم خاص عن طريق تعديل الجينات.

رأى د. «محمد المرسى زهرة» أحد المتخصصين فى الدول العربية:

سبق وذكرنا رأى كثـير من مفكرينا وباحثينا ورجال الديـن .. فى كتابنا (جولات فى عـالم البيـوتكنولوچيا) ونضـيف عليهم رأى د. «مـحمـد المرسى زهرة» [أستاذ القانون المدنى المساعد] بكليـة الحقوق جامعة عين شـمس، وذلك من كتابه [الإنجاب الصناعى: أحكامه القـانونية، وحدوده الشرعـية دراسة مقارنة] والذى يعلـق فيه على تأجير الأرحام بما يلى:

« ... فالمرأة الحاملة للنطفـة المستأجرة Porteuse تضع فى الحمل لحسـاب الغير طاقتـها التنـاسلية تحت تصـرف امرأة أخرى، فـهو إذن استـثمار واستـغـلال لجسم الإنسان، وقد انتهينا ببطلان مثل هذا التصرف لعدم مشروعية المحل من ناحية، وعدم مـشروعـيـة السـبب من ناحـية أخـرى، فـجسم الإنـسان لا يجب أن يكـون محـلاً للاستثمار والاستغلال للحصول على منفعة غير مشروعة».

.. « فرحم المرأة ليس كـقدر الطبخ ننقل مـا فيه من قـدر إلى قدر، كـما أنه ليس مـصنعًا ولا مـحـضنًا لتفـريخ الأولاد؟ إذ أن الفـرج «حرمـة» يجب ـ من ثم ـ عـدم تدنيسه والحفاظ عليه».

ومع المزيد من التطبيقات والتى يضم بعـضها ما هو مقبول ومفـيد فى عالم البشر وعالم الحـيوان .. هناك أيضًـا الطريف والغريب والمرفوض تمامًـا .. فمعنـا نستكمل الجولة.